بين صراع الحضارات وتعايشها : مراجعة لكتاب قاي انكرل عن الحضارات المعاصرة المتعايشة (Coexisting Contemporary Civilizations)

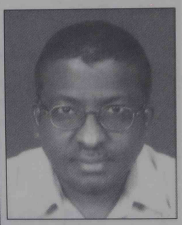

د. محمد عبد الله النقرابي*

لقد كان التقسيم الارسطي لسكان العالم إلى أغريق وبرابرة، بداية للنظرة التي تقوم على التحيز والاستعلاء من جانب حضارة مزدهرة في تعاملها مع غيرها من الثقافات، والحضارات الأخرى. فقد كانت فئة البرابرة بالنسبة لأرسطو واسعة جداً، تضم العديد من الناس بغض النظر عن الإقليم أو الشعب أو العرف.

لقد تعمقت هذه النظرة، في شكل مدنية عدوانية، خلال فترات الاستعمار الأوربي لهذه الثقافات والمجتمعات الأخرى ـ وأصبح التحيز من خلال التمركز العرقي حول الذات (Ethnocentrism) هو رائد المسوغ الإنساني، التحريري، والتنويري للاستعمار.

فالمدنية الحديثة ـ كما وصف مارشال سالينز : ـ ((لا تعرف حدوداً وتلك الشعوب الغريبة الواقعة فيما وراء الحدود قد جذبها البحث الأوربي على مستوى الكوكب الدءوب بأكمله خلال القرون الأربعة الماضية إلى داخل الحدود. فما إن اكتشفت حتى استُعمرت، وعُمدّت، وصُدمت حضارياً ـ أي إنها حسب المصطلح الفني، قد ((تكيفت))

تهاوت في خنوع استوائي،
رضيت أن تبلى حضاريا،
بنت قرى فوضوية من الكسر الصدئة
من الحديد المغضّن وحنفيات الماء المتفجرة)) (١)

لقد كان للعلوم الاجتماعية دوراً تبريريا في كثير من الأحيان بل كانت تعطي الغطاء العلمي المطلوب لكثير من مبررات التنوير أو التحديث أو التنمية التي صاحبت التوسع الرأسمالي في العالم أبان فترات الاستعمار السابقة أو طغيان المؤسسات الرأسمالية الحالي. وهي إشكالات ((أخلاقية)) يلمسها كل من يعمل في مجال البحث الاجتماعي.

والآن ونحن نشهد دوره جديدة من دورات التوسع الاقتصادي للغرب وفق طرح عولمي شامل تقفز إلى السطح مرة أخرى قضايا التباين والتوحد الثقافي في منظومة حضارية شمولية ـ كما يطرح الغرب الحضاري الآن.

كتاب قاي انكرل (Guy Ankerl) الذي صدر مؤخراً عن معهد ما بين الجامعات بسويسرا، والذي اسماه الحضارات المعاصرة المتعايشة (Coexisting Contemporary Civilizations) هو جزء من مشروع بحثي يقوم به المعهد المذكور عن : الاتصال العالمي بدون حضارة عالمية (Global

١ـ في اشلي مونتاغيو البدائية ترجمة د. محمد عصفور ، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ٥٣ ، ص٢٦٨

Communication without Universal Civilization)

الفكرة الأساسية للكتاب، كما يوضح انكرل، تعتمد على تحليل علمي حر للطرح المتمثل في:

«.. أيديولوجية العولمة، التي تدعو إلى العولمة المالية العالمية (بدون كوابح من الدولة) - كمؤشر لحضارة عالمية تمثل نظاماً عالمياً يقوم على الخصخصة، أي جمهورية مالكي الأسهم. إن الحلف المقدس الجديد للعولمة يطرح انتصار الحضارة الغربية بقيادة الثقافة الانجلو- أمريكية وسيطرتها على الثقافات الأخرى. من جهة أخرى، فإن تمثيل العلوم الاجتماعية والإنسانية الغربية للإنسانية وادعاء هذه العلوم لموثوقية عالمية عامة وطرحها لهرمية قيمية وشكل واحد للنظم، يعطي غطاء نظرياً لعالم الأعمال ليصبح أداة رئيسة لتنظيم المجتمع.

حسب هذا المفهوم العالمي، فإن الإنسانية لم تعد تتكون من أشخاص ينتمون لمكونات حضارية مختلفة، دون اعتبار لخصائصهم التي يولدون بها - من حقهم الحركة الواسعة والتفاعل بدون تباين نوعي (جندري) إذا اختاروا ذلك.. الخ ».

إذن نحن أمام طرح حضاري تمثله المركزية الغربية، ومحاولة لإدماج الكيانات الحضارية الأخرى داخل هذه المنظومة الحضارية الغربية، وهو ما دعى انكرل إلى تبني نهج علمي ينشأ عن ما اسماه حرية شخصية (مكتسبة بصورة متجددة) أو استقلالية. هذا التحرير الداخلي عن قيود المركزية الثقافية الغربية ليس فكرا ليبراليا كما يذهب انكرل ولكنه توجه يحمل مكوناً أخلاقياً. كيف إذن يمكن أن يتحقق هذا التحرير الداخلي المطلوب للتحليل العلمي الموضوعي؟ : هل هي تجربة ذاتية تقوم على استعداد نفسي مكتسب؟ وما هو حظ هذه التجربة في الخروج عن أسر التكوين الثقافي والشخصي؟ كيف يمكن أن تعمم (أو ربما ليس بالضرورة أن تتماثل مع تجارب باحثين آخرين)؟ أسئلة قمينة بالطرح والإجابة معاً.

هناك قضية هامة أخرى تطرحها فكرة الكتاب وهي الدور الذي قامت به العلوم الاجتماعية في تبرير الواقع الاجتماعي الغربي وتطوير البحث العلمي في اتجاه نماذج متشكلة بأطياف هذا الواقع وتسويق هذه النماذج لتكون هي موجهات الحضارة العالمية المنشودة.

انكرل يرى أن مناهج العلوم الطبيعية قد زودت الإنسان بقدرة على التطوير المفاهيمي، الاختبار التجريبي والانفتاح على الخيارات الممكنة. وهو يرى أن علم الاجتماع يتعين عليه البدء من الاستمرارية واللاستمرارية القابلين للملاحظة ومن التشابه واللاتشابه في الواقع الاجتماعي نفسه. إن تمثيل الواقع الاجتماعي إحصائياً أو مفهومياً يجب أن تسنده الملاحظة.

مرة أخرى نلاحظ هنا أن قضية التحرير الداخلي للتعامل مع هذا الواقع الاجتماعي والتي طرحها انكرل، لا تزال تطرح قضايا منهجية مشكله - لكنها تظل واحده من تحديات العلوم الاجتماعية التي تحتاج إلى مزيد بحث واستقصاء.

يطرح انكرل أطروحته في هذا الكتاب كما يلي : ((ما يسمى بالحضارة العالمية، تحت التكوين، والتي يدعو لها الانجلو - أمريكيون ، لا يمكن أن تكون عالمية. ذلك لأنها لم تنشأ عن تجربة مشتركة وحاجات وممارسات مشتركة للإنسانية. العولمة تدفع بالحضارات المعاصرة لحرب تقارب تهدف إلى دمج هذه الحضارات في المنظومة الاقتصادية الغربية. إنها محاولة لفرض انتشار ثقافة معينة تولدت عن التجربة التاريخية للغرب. أن العصر العالمي المطروح وما يصاحبه من عولمة، إنما ينبعث عن طموح الغرب للهيمنة العالمية.من ثم فإن الحضارة العالمية المطروحة ليست متنوعة ولا متوازنة ولا هادية أو متكاملة.. إنها ليست تركيبية في أحسن الفروض)).

من جهة أخرى يطرح هذا الكتاب أسلوب التعاون العالمي (الفدرالي) والذي يعتمد على الاعتماد المتبادل. هذا التعايش بين الأمم والأجناس لا ينظر إليه هنا كمجرد اختلاط بشري لأفراد متحركين تحت راية العالمية الغربية ولكن توافق بين الحضارات القائمة كالصين والهند وغيرها مع حضارة الغرب وغيرها. إن دستور الحضارة العالمية لا ينشأ عن التعاون بين حضارة غربية عالمية مسبقا في المركز وبين المناطق الأخرى ولا بين المناطق الجغرافية ولكن من خلال التعاون بين مناطق حضارية (Civilization spheres).

انكرل يطرح ثلاثة عوامل للحضارة : (أ) إدارة للموارد الاقتصادية لتحقيق البناء الجماعي (ب) تراث اجتماعي تحفظه الكتب المقدسة (ج) روابط أسلاف قرابية تحفظ النوع. هذه العوامل، كما يرى انكرل هي التي تحقق تماسك المجتمعات.

بهذا المعيار الثلاثي، يقول انكرل أن هناك أكثر من حضارة كبيرة واحدة في العالم، مثال لذلك الصينية، الهندية، الإسلامية، والكيان الممتزج (عن الإفريقية - الأوربية - الهندية) في أمريكا اللاتينية.

إن ما يطرحه انكرل في كتابه : الحضارات المتعايشة المعاصرة: العربية - الإسلامية، الهندية، الصينية، والغربية يشكل حلقة من حلقات كتابات متعددة حول الطرح العولمي الغربي المعاصر. وفي مقابل مقولة الصراع الحضاري أو نهاية التاريخ فإن مقولة التعايش الحضاري التي يطرحها هذا الكتاب والذي نشره معهد ما بين الجامعات السويسري في العام ٢٠٠٠م يطرح عدداً من الأفكار الجديدة ويعتبر من خلال التحليل المتعمق الذي قام به قاي انكرل إضافة إلى طرحه المنهجي المتميز، قراءة هامة في مجال أدبيات البحث الثقافي والحضاري إلى جانب إشكالات العلوم الاجتماعية المعاصرة.

مؤتمر قضايا التنوير والحرية في الفترة من ٢٧- ٢٩ أغسطس ٢٠٠٧

مقدمة :

مركز التنوير المعرفي، مركز بحثي مستقل يهتم بإنتاج المعرفة المستندة إلى مرجعية الوحي والتراث الإنساني في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية من خلال دوائر متخصصة (اقتصادية ، واجتماعية ، وسياسية ، وفلسفية ، تاريخية) تعمل على إنتاج وتأطير وتنسيق العلم في هذه المجالات ؛ من خلال الربط بين النظر والواقع .

استجلاء مفهوم الحرية في المدارس الفكرية المختلفة ، وبيان أهميتها في إعمار الأرض وتحقيق الاستقرار والعدالة وتوسيعا لدائرة النقاش حول قضايا الحرية وسعيا نحو تقديم رؤية تنويرية.

ينظم مركز التنوير المعرفي مؤتمرا دوليا. وهذه بمثابة دعوة لكل الباحثين والمهتمين من داخل السودان وخارجه لتقديم مستخلصات حول المحاور التالية :

١ـ محور مفاهيمي (الحرية ، التنوير ، حقوق الإنسان ، .. الخ)

٢ـ المقاربات النظرية لقضايا الحرية بين الفقه الإسلامي والفكر الغربي.

٣ـ الحرية وقضايا حقوق الإنسان .

٤ـ الحرية الفردية والمسؤولية .

٥ـ نماذج تطبيقية

٦ـ واقع ومستقبل الحرية في ظل النظام العالمي الجديد واستشراف المستقبل.

المستخلصات:

ـ لا يزيد المستخلص عن صفحتين .

ـ ترسل المستخلصات للبريد الالكتروني tanweerconference@gmail.com

في مدة أقصاها مايو ٢٠٠٧.

ـ يحتوي المستخلص على عنوان كامل للمراسلة (تلفون ، بريد الكتروني ، فاكس) .

ـ تقيم المستخلصات بواسطة لجنة علمية ويتم إعلان المستخلصات المختارة لاحقاً.

ـ المسودة النهائية للورقة يتم إرسالها بالبريد الإلكتروني أعلاه في موعد أقصاه ٢٠٠٧/٧/٢٠.

ـ تقوم اللجنة العلمية باختيار الأوراق التي تستوفي المستخلصات و الشروط العلمية المعروفة، ومن ثم إخطار أصحابها لتقديمها.

بالنسبة للمشاركين من الخارج، يتكفل المنظمون بالمنصرفات الكاملة لعدد محدود، ومنصرفات الإقامة فقط لعدد آخر محدود وذلك بعد التقييم النهائي للورقة.

لغات المؤتمر: العربية، الإنجليزية، الفرنسية

لمزيد من المعلومات يمكن الاتصال ب: مركز التنوير المعرفي تلفون +٢٤٩ ٨٣ ٢٢٩٨٠٤ فاكس+٢٤٩ ٨٣ ٢٢٩٧ ٢٦

E_Mail:tanweerconference@gmail.com

موقع المؤتمر على الانترنت:

www.Tanweer_center.net